مباحثٌ لغويةٌ في سورة القمر

عسكر بابازاده اقدم (الكاتب المسؤول)

الأستاذ المساعد في اللغه العربية وآدابها ، جامعة العلوم والمعارف القرآنية ، مدينة قم ، إيران

askar.babazadeh@gmail.com

أحمد أميدوار

الأستاذ المساعد في اللغه العربية وآدابها ، جامعة العلوم والمعارف القرآنية ، مدينة قم ، إيران

Ahmad60omidvar@gmail.com

حسين خاني كلغاي

الأستاذ المساعد في اللغه العربية وآدابها ، جامعة العلوم والمعارف القرآنية ، مدينة قم ، إيران

Khani.kalghai@gmail.com

محمد مهدي كريمي نيا

الأستاذ المساعد في فرع علوم القرآن والحديث ، جامعة العلوم والمعارف القرآنية ، مدينة قم ، إيران

mkariminia@gmail.com

مجتبي انصاري مقدم

طالب الدكتوراه - جامعة ميبد – مدينة ميبد - إيران

mojtabaansari6767@gmail.com

Linguistic issues in Surah Qamar

Asgar babazadeh aghdam (undertaking author)

Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran

Ahmad omidvar

Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran

Hossein khani kalgay

Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran

Mohamad Mahdi kariminia

Assistant Professor of Quranic Sciences and Hadith , Qom , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran

Mojtaba Ansari

PhD student in Quran and Hadith , Meybod University , Iran

الخلاصة :

تعدُ دراسة جوانب القرآن اللغوية إحدي أهمّ مجالات البحث حول القرآن الكريم؛ والقرآن هو الذي تحدّي البشر لدي نزوله كي يأتوا بآية من مثله، ولكنّهم ما استطاعوا إلي ذلك سبيلا. بحثَ العلماء والخبراء في القرآن لغةً، وتفسيراً، وبلاغةً، ولساناً، ولهجات، وغيرها في شتّي المجالات، لكنّ دراسة جوانب إعجاز القرآن لم تنل حقّها من بين الدراسات الأخري حتي يومنا الراهن، ولذا قمنا باستعانة المنهج الوصفي كي نبين الإعجاز اللغوي في سورة القمر علي سبيل المثال ـــ لا الحصر. وبعد دراسة أنواع الكلمة في هذه السورة اسماً، وفعلاً، وحرفاً توصلت الدراسة إلي أنّ للقرآن الكريم في كلّ سورة حسبَ موضوعها، هدفاً وإطاراً فكرياً يختار كلمةً تتناسب مع السياق، وتتماسك مع المضمون السائد في كلّ سورة. فقد تؤدّي الكلمة من حيث صياغتها الصرفيه دوراً مميزاً في هَذا التناغم الشكلي والمضموني. ونجد هذه الميزة المحيرة بوضوح صارخ في سورة القمر؛ بحيث قد أدّت المفردة دورَها في أداء المعني المقصود بشكل ناجح، لا يمكن أن تؤدّي هذا المهمّ أيّةُ مفردة أخري، كما لا يمكن وضع كلمة موضعَ أخري، لتؤدي المقصود الذي أراده القرآن كي يقرعَ به أسماعَ مَن خوطبوا به.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم ، الإعجاز اللغوي ، الصيغة الصرفية ، الأفعال المزيدة ، سورة القمر

Abstract:

Research on the linguistic aspects of the Qur'an is one of the dimensions of Qur'anic research. The Qur'an is a work that, from the beginning of its revelation until now, has called on human beings to compete, if they can bring something like it, but human beings have never been able to Scholars and scholars have researched the language of the Qur'an, commentary, rhetoric, literature, and various. Therefore, in this discourse, using a descriptive-analytical method, we have tried to examine the aspects of the linguistic miracle of the Qur'an by relying on the Surah of the Moon. Qur'anic readings, but research on various aspects of the Qur'anic miracle has not yet found its place. After examining different types of words such as nouns, verbs and letters, in this surah we came to the conclusion that in the Qur'an, and in each surah according to the subject, purpose and intellectual space governing it, words have been selected that fully conform to these concepts. They are complete and confirm the theme. In the meantime, words play a special role in creating harmony of content and content according to their structure. This issue is clearly palpable in Surah Al-Qamar. So that it can be claimed that each word is in its own place and it is not possible to move any word. All this is to communicate the purpose of the text and the audience to understand it.

Key words : Holy Quran , Linguistic Miracle , Morphological Structure , Additional Verbs , Surah Qamar .

١. المقدمة

إنّ القرآن العظيم حجة الله علي خلقه، ومعجزة رسوله (ﷺ)؛ كتابٌ أُحكمت آياته، وصيغت بالكلم. أمّا صياغة الكلمة فجاءت دقيقةً رصينةً فنية فيها مِن قوّة التأثير والإقناع ما ليس في غيرها من المفردات. ولا ريبَ أنّ هذا السفر الخالد يستخدم الإجمال تارةً ولسببٍ، والتفصيل لسبب آخَر تارةً أخري، فما مِن حرفٍ فيه إلّا وله أبعاد ودلالات وأسباب. فقد كتب مصطفي صادق الرافعي: «لا جرَم كان القرآن في نظمه وتركيبه نمطاً واحداً في القوة والإبداع، ولا تقع منه علي لفظٍ واحد يخل بطريقة ما دامت تنعطفُ علي جوانب هذا الكلام الإلهي، وما دام في موضعه من النظم والسياق. من أعجب ما اتّفق في هذا القرآن من وجوه إعجازه أنّ معانيه تري في مناسبة الوضع وإحكام النظم مجري ألفاظه. ولا يعد المنكر وجهاً صحيحاً من القول ربطَ كلّ كلمةٍ بأختها، وكلّ آيةٍ بضريبتها، وكلّ سورةٍ بما إليها وهو علم عجيبٌ. (الرافعي، ١٩٧٣ش: ص ٢٤٣). والقرآن الكريم كان وما زال يمثّل مرجعية الفكر والحضارة الإسلامية؛ فهو محور الثقافة التي تلته، وكلّ علوم العربية قديماً وحديثاً إنّما أُسّسَت مِن أجل بيانه وكشف درره والغور في أسرار إعجازه، بل هي اليوم تستمّدُ علومها وآدابها منه.

تعدّدت مجالات الخطاب القرآني لتعدّد أصناف الناس، فكان الخطاب عامّاً خاصّاً، فلم يخاطب فئةً دون فئة، ولا جنس دون جنس، ولا أهلَ دين دون غيرهم، كما تعدّدت أهدافه ومقاصده لهذا التنوّع، مِن أوامر ونواهٍ ووعدٍ ووعيد، وترغيب وترهيب وحكم ومواعظ ولكلّ منها وسائل وأساليب.

أمّا المفسرون وأئمة اللغة وأرباب البلاغة فقد عكفوا علي شرحه وتحليله وتعليله، وبحثوا في جوانب إعجازاته بيانياً ولغوياً وتفسيراً ونحوياً وغيرها، ولكن حسب دراستنا في أبعاد هذه الإعجازات الكثيرة لم نجد أن تُدرس هذه

المعجزة الخالدة من جانب الإعجاز الصرفي كثيراً، بينما علم الصرف يدرس أحوال الكلمة مِن حيث بنية الكلمة اسماً وفعلاً وحرفاً والدور الذي يجلب الكلمة من جانب المعني وأداء المقصود.

إنّ اهتمام الصرفي يقف عند ما يجوز وما لا يجوز استخدامه من الصيغ للدلالة علي معانٍ بحيثها، بمعني أنّ وظيفة الصرفي تقف عند حدود بيان الصيغ الدالة علي كلّ معني من المعاني، بحيث يكون التعبير واقعاً في دائرة الصواب وفق ما توافق عليه العرب، فالمفاضلة بين تلك الصيغ والتخير الفني لإحدي الصيغ التي يصلح أن يعبّرها جميعاً عن المعني المراد مع وقوعها في دائرة الصواب. (الهنداوي، ٢٠٠٢م: ص ١٠) وساحة دراسة الإعجاز الصرفي القرآني هي الصيغ المختلفة لأقسام الكلمة والقوالب الصرفية في ذاتها وتحديد تلك الصيغ وبيان وظائفها وتوضيح الفروق التي تميز بينها في تأدية تلك الوظائف. وفي النهاية، تهدف هذه الدراسة إلي تبيين الإعجاز الصرفي في سورة القمر وتبحث عن وظيفة الكلمات ودورها في السورة عبر النظر إلي السياق والمناخ الملائم للسورة، وبالتالي الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. ما هي أهم المميزات اللغوية في سورة القمر؟

٢. ما هي كيفية المعاني التي تؤدّي أقسام الكلمة (اسماً، وفعلاً، وحرفاً) بالنظر إلي المناخ الحاكم والمتلائم مع السورة؟

١_١. ضروره البحث

قد تفطن علماؤنا القدامي علي حقيقة لغوية صرفية، فبينوا أنّ "كلّ لفظ له معني لغوي يفهم من مادّة تركيبية، ومعني صيغي وهو ما يفهم من هيئته" أي: حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأنّ الصيغة اسم من المصوغ الذي يدل علي التصرف في الهيئة لا في المادة. (الهنداوي، ٢٠٠٢م: ص ١٠) والسياق القرآني ـــ بما أنّه نصٌّ لغوي ـــ يختار الألفاظ يختار التي تلتحم به التحاماً كاملاً،

واللفظة في المعجم تكون ذات معانٍ متعددة محتملة، ولكن معناها يتحدد عندما تري في السياق، بيد أن معني اللفظ يبلغ الكمال عندما يرد في القرآن الكريم وفي إطار لون مِن ألوان السياق. (القيسي، ١٩٩٦م: ص ٣٩) وتتجلّي أهمية البحث من خلال أهمية أحدي الإعجازات الكثيرة القرآنية، وهي الإعجاز الصرفي والذي حتي الآن لم ينل حقَّه بين الأقسام المختلفة مِن الإعجازات القرآنية التي تناولها العلماءُ والخبراءُ أوّلاً. وإنفراد سورة القمر بخصوصية مختلفة كتوالي الأحداث وتتابعها وسرعتها إذ تكشفت من خلالها الوقائع وصور العذاب بتلاحقٍ زمنيّ ودقةٍ لغويةٍ وبلاغةٍ متناهيةٍ تمكن لنا أن نقدمَ هذه المفاهيم خلال الدراسة الصرفية ثانياً.

١_٢. وقفة مع سورة القمر المباركة

إنها مِن السور المكية، آياتها خمس وخمسون آيةً، وهي السورة السّابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، وقد عالجت أصول العقيدة الإسلامية، وهي من بدئها إلي نهايتها حملة عنيفة مفزعة علي المكذّبين بآيات القرآن الكريم. وطابع السورة الخاص التهديد والوعيد والإعذار والإنذار مع صور شتّي من مشاهد العذاب والدمار. (حرّاد، ٢٠١٣م: ص ٥٥) والمتعمق في محطّاتِ هذه السورة يدرك أنه يمكن تقسيمها إلي ثلاثة أجزاء كبري، حيث ابتدأت بذكر انشقاق القمر الذي هو إحدي المعجزات العديدة للرسول الكريم (ﷺ)، وذلك حينما طلبَ المشركون منه معجزةً تدلُّ علي صدقه، ثم أُنتقلت السورة للحديث عن أهوال القيامة وشدائدها بأسلوبٍ مُخيفٍ يهزُّ المشاعر هزاً ويحرّك في النفوس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العجيب. ثم يأتي الحديث عن مصارع المكذبين وما نالهم في الدنيا من ضروب العذاب والدمار بدءاً من قوم نوح (عليه السلام)، ثم تلاه الحديث عن الطغاة المتجبّرين مِن الأمم

السالفة الذين كذّبوا الرّسل. والقسم الثالث لهذه السورة توجّه السورة إلي مخاطبة قريش، وتحذيرهم من مصرع كمصرع الأقوام السالفة للرّسل الماضيين، بل هو أشدّ وأنكل. وختم السورة ببيان مآل السُّعداء المتّقين في الجمع بين الترغيب والترهيب. (ابن عاشور، لا تا: ج ٢٦، ص ٢٧٧)

ومن أهمّ ما جاء في هذه السّورة هو مضمونها والجوُّ السائُد عليها، فإنّها بمثابةِ لوحةِ رسمٍ عن ساحة المكافحة بين أهل الحق والباطل تتنازعان بشدّةٍ وسرعةٍ خاصة لو قورنت بشأنِ نوزولها حيث طلب المشركون معجزة من رسول الله (ﷺ). وبينما يسعي المقال أن يعرض هذا الجوّ الحربّي بين أهل الحق وبين أهل الباطل بتصوير رسمتها الكلمات، فقد أدّت المفردات إسماً وفعلاً وحرفاً هذا الدور بصورة كاملةٍ إعجازيةٍ.

١_٣. خليفة البحث

لا حدّ للغة القرآن الكريم بما فيها من جوانب أدبية ومعرفية وتفسيرية، فقد كانت مجال البحوث المتعددة لغوياً ودلالياً وبلاغياً بينما لم تكن سورة القمر مستثنيةً من هذه البحوث، وبل هناك دراسات عديدة تناولت هذه السورة منها:

- ملامح أسلوبيّة في سورة القمر مقال كتبه خليل خلف بشير في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني.
- سبك شناسي سوره قمر، مقالةٌ أخري نشرها عسگـر بابازاده اقدم وحسين تكتبار فيروزجائي في مجلة سراج منير.
- الجملة في اللغة العربية، دراسة في سورة القمر نموذجاً، رسالة ماجستير لرياض حرّاد بجامعة أسطيف.
- مقالة التوازي الصوتي في سورة القمر قدّمها أشواق محمّد إسماعيل النجار للنشر في مجلة آداب الرافدين.

وإلي جانب هذه الدرسات المذكورة نجد بعض البحوث تناولت أسرار الألفاظ القرآنية فيها، ودراسة جوانبها الإعجازي؛ نذكر منها ما دوّنَ حولَ االإعجاز الصّرفي في القرآن:

- «سرُّ الإعجاز في تنوّع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن» للدكتور عودة الله منيع القيسي.
- «الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم» للدكتور عبد الحميد أحمد الهنداوي.

فقد تمّ استخدام هذه الدراسات القيمة في المقال، ولم يعثَر علي دراسةٍ من مقال أو رسالة أو كتاب تناول الإعجاز الصرفي في سورة القمر. هذا وقد يسعي المقال أن تقدم للباحثين والقارئين دراسةً جديدةً في الإعجاز الصرفي فأنَّه مغفولٌ عنه بين البحوث الإعجازيه بشكل غريب.

١_٤. دراسة في إعجاز سورة القمر

تنفرد سورة القمر بخصوصية توالي الأحداث وتتابعها وسرعتها، تكشفت فيها الوقائع بين أهل الحق وبين أهل الباطل. فقد صُوّر فيها مشاهد العذاب بدقةٍ لغويةٍ وبلاغيةٍ، ولذا قام البحث بالتحليل الدلالي خلال استخدام الألفاظ ودورها في إعطاء صورة ترسم ملامح الجوّ السائد علي أرجاء السورة. وبما أنّنا لا يمكن أن نتناول الألفاظ الموجودة كلها في السورة انتقينا ما قام بدورٍ خاصٍ ومميزٍ، وسَهلُ علينا تناولَه.

٢. نماذج لغوية في سورة القمر

٢_١. اقتربَت

تبدأ السورة بـ(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) (القمر، ١). والسؤال: لماذا الفعل ماضٍ؟ والحال أنّ القيامة لم تحدث حتي الآن؟ ولماذا ورد علي وزن افتعل؟ والجواب: إنّ الله تعالي حينما أراد أن يتصّور ما هو محقق الوقوع اختار الماضي بدلا من المضارع. والفعل الماضي إذا أُخبرَ به عن المستقبل الذي

لم يوجد بعدُ كان ذلك أبلغ وآكد في تحقيق الفعل وإيجادِه؛ لأنّ الفعل الماضي يعطي من المعني أنه قد كان ووُجد. وإنّما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها. (مشري، ٢٠١٣م: ص ٢٧٧، نقلاً عن ابن أثير: ج ٢، ص ١٥)

«اقتربت» علي وزن «افتعل» تدلّ علي المبالغة في القرب (قباوة، ١٩٨٨م: ص ١١٨) كما قال صاحب التبيان: اقتربت أي دنت، وقربت وفيها مبالغةٌ، كما أنّ في «اِقتدر» مبالغة علي القدرة (الطوسي، ١٤١٣ه: ج ٩، ص ٤٤٢؛ الدرويش، ١٩٩٢م: ج ٩، ص ٣٧٥) والمعني المتخذ من الفعل هذا هو ما قاله أبو جعفر النحاس: اقتربت الساعة التي تقوم فيها القيامة فاحذروا منها لئلا تأتيكم فجأة وأنتم مقيمون علي المعاصي. (النحاس، ١٤٢١ه: ج ٤، ص ١٩٢) إذن ابتداء السوره بِـ"اقتربَ" يلفتنا إلي أنّ صيغة الماضي للفعل ووزنه علي"افتعل" إعلان قرب وقوع القيامة. وهذا إنذارٌ وتحذيرٌ للقوم الكافرين الذين ينكرون نبوّة النبيّ (ﷺ) ويؤذونه. وعلينا أن نتذكر قد حدث في الآيه تقديمُ الأهمّ علي المهمّ، لأنَّ الأصلَ: إنشقَّ القمرُ واقتربَ الساعة. واختيار تقديم الساعة علي انشقاق القمر لأهمية هذا الحدث وهوله وعظمته، وإنّما راعي المضمون في تقديم اقتراب الساعة لكونه أمراً عظيماً جداً.

٢_٢. ضمير "نا" للمتكلم

تعدّ الضمائر من المورفيمات الدالّه علي الشخص، وتتنوع الضمائر بين الاستتار والبروز والانفصال والاتّصال؛كما تتنوعُ بتنوع محلّها الإعرابيّ: النصب والجر والرفع. ومن الضمائر التي استعملت لعرض التفخيم والتهويل ضمير جماعة المتكلمين (نا) الذي يعدّ من المورفيمات المقيدة غير المستقلة، لكونها لا تأتي الّا متصلاً بالاسم أو الفعل أو الحرف. كقوله تعالي: "الّذين يَبخلون ويأمرون الناسَ بالبُخلِ ويكتمون ما آتاهم اللهُ من فَضله وأعتدنا

للكافرينَ عذاباً مُهيناً" (النساء/ ٣٧)؛ فقوله:"وأعتدنا للكافرين عذاباً عظيماً مهيناً"ذكر فيه (نا) للتَّعظيم والتَّهويل. (الآلوسي، ١٤١٥ه: ج ٣، ص ٣٠)

يعتبر اختيار ضمير «نا» أحدُ الإعجازات الصرفية المميزة في السورة، فالمقصود من الضمير في هذه الآيات كلّها هو الله تعالي؛ والسؤال: لماذا آثر ضمير «نا» عوضَ ضمير ياء المتكلم؟ والجواب: إنّ القرآن الكريم يعدل إلي الجمع ليكنّي بدلالة الظاهرة علي الكثرة عن قوة الصفة علي سبيل المبالغة. وأحصينا في هذه السورة اكثر من عشرين ضميراً من «نا» المتكلم، والمقصود منها الله متعال كـ: «عبدنا، فتحنا، فجّرنا، حملنا، أعيننا، تركنا، يسّرنا (أربع مرات)، أرسلنا، إنّا (خمس مرات)، بيننا، منّا، بطشتنا، طمسنا، آياتنا، أخذنا، أمرنا، اهلكنا». والمعني المشترك بين كلّ الضمائر إبلاغ مفهوم المساعدة والمحافظة والرعاية لحزب أهل الحقّ ولتفخيم مكانتهم وتعظيهم؛ فأهل الحق والباطل حزبان متواجدان في ساحة حربٍ يتنازعان ويهاجمان بعضهما بعضاً، فالله نصر أهل الحقّ عبر هذه السورة، إلي جانب السور الأخري عبرَ إرعاب حزب الباطل.

وهنا نكتفي بمثالين ـــ لا أكثر ـــ احترازاً عن إطالة الكلام: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر، ١٣ ــ ١٤) الآية تشير إلي صنع الفلك بيد نوح (عليه السلام) طيلة أربعين سنة، ومساعدة الله إياه بحمل النفوس والبهائم علي الفلك بضمير «نا» وسعي الفلك علي الماء تحت هداية االله ورعايته. وإن لم يكن رعايته يمكن أن تمزق السفينة فلا يبقي منها اسمها ورسمها. (الخضري، ١٩٩٣م: ص ١٠٨). وتجري بأعيننا: بمرأي منّا؛ أي محفوظةٌ وتحت رعايتنا. وأضافه الأعين إلي الضمير يشعر بأنّ هذه الرعايه رعاية جامعة وشاملة وتامةٌ خاصةً كانت مرجع الضمير الله تبارك وتعالي.

ومثال آخر قوله تعالي: ﴿ ۞كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾ (القمر: ٩ - ١٣) الجملة الأولي وقائع الأمم الماضية تأنيسٌ للنبي (ﷺ) وتعزية له (القرطبي، ٢٠٠٦م: ج ٢٠، ص ٨٠) يشعر بوضوحٍ التعظيم والتفخيم والمساعدة العظيمة التي أرسلها الله المتعال إلي النبي نوح (عليه السلام)، وهو حينما دعا يا ربّي إني مغلوبٌ، فأسرع الله بمساعدته "فتحنا"و"فجّرنا"و"حملنا" التي كانت مدداً الهياً. وإسناد الأفعال إلي الضمير"نا" يشعر بقدرة هذه الإمدادات والمساعدات؛ لأنّ المساعدة التي كانت من جانب الجمع تكون أوسع وأقدر وأعظم؛ وهذا يتناسب مناخ السورة وأبعادها الدلالية التي تمّ ذكرها فيما مضي.

٢_٣. فاء العاطفة

قد وردت الحروف العاطفة في القرآن الكريم في مواضع مختلفةٍ حسب المقام وحاجة النص. لكلٍّ حرف ميزةٌ تميزه عن الحروف الأخري. وأمّا بالنسبة إلي بعض المميزات لهذه الحروف نستطيع أن نذكر الحروف الثلاثة: «الفاء، والواو، وثمّ» حيث لها دلالات بلاغية ومعنوية، فيجب علينا أن نبحث حولها في دراسة أخري وقبل أن ندخل أساس البحث، علينا أن نُوردَ بعض خصائص هذه الثلاثة باختصارٍ:

الواو معناها الجمع والتشريك بين سابقها ولاحقها من الكلام وهي أصل حروف العطف، وثمّ للاستبعاد يفيد الترتيب الذكري أو الإخباري من غير التراخي والمهلة وأيضاً بمعني الواو دون الدلالة علي ترتيب. المعني الثلاثة لثم التراخي بين المعطوفين في التكلم أو في الحكم أو في الزّمان أو في المرتبة (الشريف، ١٩٩٦م: ص ٦١٤ ـــ ٦١٥).

وللفاء العاطفة عدة معانٍ:

١. اشتراك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم؛ ٢. الترتيب بغير مهلة؛ ٣. للتعقيب: عدم وجود مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه (نفس المصدر: ص ٦٨٠)

بالنظرة العابرة في هذه السورة نجد كثرة فاء العطف، وذلك في المواضع الآتية: فما تغن، فتولَّ، فكذّبوا، فدعا، فانتصر، فالتقي، فهل مِن مّدكرٍ، فكيف، فهل، فكيف، فهل، فقالوا، فارتقبهم، فنادوا، فتعاطي، فعقر، فكيف، فكانوا، فهل فتماروا، فطمسنا، فذوقوا، فهل، فأخذناهم، فهل.

فلذا نري كثرة العطف بالفاء هنا يتفّق مع السياق العام للسورة الكريمة، حيث تتابع المواقف وتنوع المشاهد وتسارع الأحداث، ونجد ذلك واضحاً في قوله تعالي: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ (القمر: ١٠) مشيراً بذلك الانفعال السريع العنيف. وذلك حيث يتطلب هجوم الحق علي الباطل هذا العنف المشير. والآيتان التاليتان تستمرّان في هذه الحالة: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (القمر: ١١ ــ ١٢) حيث تكرر العطف بالفاء في الآيات الثلاثة متواليات مما يدل علي سرعة المواقف وتتابع الأحداث. كما أنّ للفاءات في الآيات ١٥، ١٦، ١٧،١٨ دلالة علي السرعة بلا مهلة. (فراج، ٢٠١٨م: ص ٣٠٤٤ ــ ٣٠٤٦)

٢_٤.صَيحَةً واحدةً

إنّ هذه المفردة مِن أوزان مصدر المرة؛ وبناء المرة من المجرد علي «فَعلَة» يدل علي وقوع الحدث مرةً واحدةً. ومن معانيه الأخري القلة والتقليل. (اونان، ٢٠١٨م: ص ٤٩) والمصادر القلة التي لها تاء في أصلها يجب علينا أن نوكدها بوصف يدلُّ علي المرة.

ومن المواضع التي وظفت فيها صيغة اسم المرة توظيفاً بليغاً ما قاله تعالي في سورة الدخان: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا

فَٰكِهِينَ ﴾ (الدخان، ٢٥ ــ ٢٧) و«النعمة» كمصدر مرة في هذه الآية تدلّ علي النعمة المحتقرة في الدنيا؛ فإنّما هي نعمة واحدة يتنعمون بها في الدنيا. (الهنداوي، ٢٠٠٢م: ص ٩٨ ــ ٩٩)

كما أنّ استعمال «صيحةً واحدةً» في آية ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾(القمر، ٣١) مصدر المرة، يقال إنّها صيحة جبرئيل. تدلّ علي هول هذه الصيحة وشدة أثرها، فتردع النفوس وتحذر المعصية؛ لأنه إذا كانت صيحة تهلك قوماً هكذا فكيف لو أنها صيحتان أو أكثر، بمعني آخر ذرة من الصيحة تجعل المكذّبين محروماً ومتقطعةً وأشلاءَ متناثرة. وهذا المصدر هنا دلالة علي قدرة الله تعالي عظمتها وفخامتها يساعد بها أهل الحق إزاء أهل الباطل. (الصيفي، لا تا: ص ٥٢)

٢_٥. مُقْتَدِرٍ

ومما يلفت النظر في هذه المفردة بناءها علي «مفتعِل» عوض «فاعِل». وبعبارة أخري يطرح هذا السؤال بشكلٍ مُلحٍّ لماذا لم يستعمل مفردة «قادر» في هذه الآية؟ وهي أشهر استعمالاً وأكثر إطراداً؟ .الجواب أنّ للفاعل علي وزن «مفتعِل» حرفاً زائداً عن «فاعِل» وهذا يذكرنا ما أطلق عليه الباحثون المتقدمون، باب «زيادة اللفظ تدلُّ علي زيادة المعني». فإنّ قضية العلاقة بين اللفظ والمعني من القضايا التي شغلت حيزاً كبيراً من جهود العلماء، وقد لمحوا في دراساتهم قديماً وحديثاً أنّ هناك مناسبةً بين اللفظ ومدلوله، ولذا يعتقدون بأنّ هناك مناسبة بين النقص و الزيادة أيضاً، وهما اللذين يطرآن علي اللفظ في المعني.

ولعلّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أول مَن تنبّه إلي وجود هذه الصلة، فقد ذكر مثالاً: أنّ الاختلاف بين لفظ «صرّ» الدالّ علي صوت الجندب ولفظ «صرصر» الدالّ علي صوت البازي يكمُن في التباين بين طبيعة الصوتين.

(هوّاش، ١٩٩٩م: ص ٥٤؛ رضايي هفتادرورحاني، ١٣٩٥ش: ص ١١٤) ولذا يمكن القول بالزيادة أياً كانت موقعها في الكلمة لا تعدّ زخرفة لها، وإنّما تأتي لزيادة في المعني، وذلك نحو الزيادة علي جذر (قدر) في قوله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(القمر، ٤١ ــ ٤٢) فبناء اسم الفاعل علي باب افتعال (اقتدر)، صار المعني أبلغ وأقوي من المجرد (قَدَر). وإنّما عُدِل إليه للدلالة علي تفخيم الأمر وشدّة الأخذ الذي لا يصدر الّا عن قوّة الغضب، أو للدلالة علي بسطة القدرة، فإنّ المقتدر أبلغ في البسطة من القادر؛ لأنّ اللفظ إذا كان علي وزن من الأوزان ثم نقل إلي وزن آخر أكثر منه، فلا بدَّ مِن أن يتضمّن مِن المعني أكثر مما تضمّنه أوّلاً. وهذا النوع لا يستعمل الّا في مقام المبالغة؛ لأنّ المقام مقام إخبار عمّا حل بفرعون ورجال دولته وجنده من الغرق الذي لم يبق منهم أحداً. (محمّد، ٢٠٢٠م: ص ٢٣٢١).

٢_٦. استعمال الأفعال المزيده

٢_٦_١. باب الافتعال

كما نعلم، اِفتعل بزيادة همزه الوصل في أوله والتاء بعدَ فائه يكون لازماً ومتعدياً، ويأتي للدلالة علي معانٍ: ١. المطاوعة: وهو الأغلب فيه، نحو: غممتُه فأغتمّ؛ ٢. الاتخاذ: نحو، أختبز، أي: أخذ الخبز؛ ٣. زيادة المبالغة في المعني: نحو: اِكتسبَ، أي كسب كثيراً واضطربَ في الكسب قوله تعالي:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ (البقرة، ٢٨٦) (الهنداوي، ٢٠٠٢م: ص ١٣٠) ٤. بمعني (فَعَلَ) أي بمعني مجردة، نحو: جذبَ واجتذبَ. ٥. بمعني (تفاعلَ)، نحو: اِختصموا وتخاصموا (العبيدي، ٢٠١١م: ٢٠٢ ــ ٢٠٥)

بلمحة النظر في آيات السورة نجده استعمال باب «افتعال» اسماً وفعلاً في ثمانيةَ عشرَ مفرداً: «اِقتربَ، اتبعوا، مزدجر، منتشر، انتصر، نتّبعه، اصطبر، محتضَر، محتظر، منتصر، مقتدر (مرتين) ومدّكرٌ (أربع مراتٍ) بينما تفيد هذه الكلمات معني المبالغة في المعني والتكثير جميعها.

بما أننا لا يمكننا شرح كيفية المعني في الكلمات المذكورة كلها؛ نكتفي بشرح مزدجر وانتصر واصطبر فقط:

٢_٦_١_١. مُزدجرٌ: هذه الكلمة أصلها «زجر». فإذا أردنا أن نبني أفتعَلَ أو مُفتعِل من الفعل «زجر» نقول: ازدجِر ومُزدجِر والأصل: اِزتَجِر ومُزتَجِر، ثم أُبدلَت التاء في الكلمة دالاً لمناسبة الزاي التي قبلها في الجهر: لأنّ التاء مهموسة وهي لا تناسب جهر الزاي، فتقلَبُ التاء دالاً؛ وهذا يشعرنا بتوافق الكلمة مع السياق وجوّ السورة ويكون المعني في الكلمة: زجرٌ رادعٌ لهم عن ما هم فيه أُزجرتُه نهيتُه بغلظةٍ في قوله تعالي: (وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) (القمر، ٤) (أبو حيان الأندلسي، ٢٠١٠م: ج ١، ص ٣٤)

٢_٦_١_٢. انتصر ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ (القمر، ١٠)

بعد أن اُتّهِم نوحٌ (عليه السلام) بالجنون وازدجر من قومه فانّه شعَر بأنّه مغلوبٌ علي أمره لا يقدر علي مواجهه القوم الظالمين، فلهذا دعا ربَّه قائلاً: إنّي مغلوبٌ. فطلبَ من ربّه أن يساعده علي قومه. انّما البيئة السائده في هذه الآية تطلبُ مساعدةً غليظةً وغالبةً؛ لأنّ نوحاً (عليه السلام) كان علي وَشَك الانهزام، وإنّما «فانتصِر» بمعني مؤازرة الله نوحاً (عليه السلام)، ومساعدته لتحمّل مشقّة عنادهم واتهامهم له بالجنون.

وقد صوّر مؤلّف البحر المحيط معني هذا الفعل بدقة بالغة بقوله: إنتصر: بمعني إنتقم بعذابٍ بعثه عليهم (المصدر السابق، ص ٣٨) وأيضاً ما قاله

الطبرسي: «انتصر» أي يا ربّ قد غلبني هولاء الكفار بالقهر لما بالحجّة فانتقم لي منهم بالاهلاك والدّمار (الطبرسي، ١٣٧٢هـ: ج ٩، ص ٢٨٤)

وصفوة القول في هذا الفعل إضافة إلي معني النصر الذي طلبه نوحٌ (عليه السلام) من الله تعالي بصيغةِ أمر طلبي، هو أنّ دخول الفعل علي «إفتعال» يفيد معني الإنتقام والعذاب. بعبارة أخري: يا الهي بعدَ أن نصرتَني إنتقم منهم بالهلاك والعذاب.

٢_٦_١_٣. إصطبر﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ (القمر، ٢٧)

إصطبر: صَبر. تَصبّرَ: حلّ نفسه علي الصبر وأيضاً: تكلّف الصبر (الفراهيدي، 1980م: ج ٢، ص ٣٧٦) واصطبِر فعل أمر بمعني «إصبر» لكنه أقوي من «إصبر»؛ أي إصبر صبراً لا يقتربُه مللٌ ولا ضجرٌ (ابن عاشور، لا تا: ج ٢٧، ص ٢٠٠) اصطبر لعبادته (مريم، ٦٥): أي تحمَّل الصبر جهدَك. (المخصص، لا تا: ج ١٣، ص ٢٦٨) وهذا أمر لصالح (عليه السلام)، إن كان يوذونك فلا تستعجل لهم العذاب و هذا استعمال الفعل في باب افتعال وإبدال تائه طاءاً تكوّن الأصواتُ القويةُ وصار معناه الصبر القويّ الذي لا يأتيه الوهن، حيث زيدت حرفُ طاء بدل التاء للمبالغة.

٢_٦_٢. باب التفعيل

لصيغه "فعّل" في العربيه دلالات كثيرة عرفها الصرفيون من خلال استقراء كلام العرب ومن خلال كثرة استعمالاتها وتداولها في اللغة العربية الفصحي للتعبير عن أغراضٍ محددة. حينما ينتقل الفعل من المجرد إلي المزيد تظهر له دلالات متعدده. وفي "قَتَلَ" إلي "قتَّلَ" نري أنَّ التضعيف في العين يقوّي الحدث معنوياً ويزيد في إنفعاله ويعطي للصيغه حركةً مخصصةً ضمن السياق المعنوي (حميد، ٢٠٠٨م: ص ٤٢). ويعتقد ابن جني في تضعيف العين: "باب تكرير

العين هو طريق معنويةٌ" (ابن جني، ١٩٧٦م: ج ٢، ص ١٥٨) أي لإفادة معانٍ كثيرةٍ بحسب ما يقتضيه السياق.

والمعاني التي يفيد هذا الباب: ١. التعدية: قوّمتُ زيداً، و٢. التكثير: جوّل وفصّلَ: أي أكثرَ الجولانَ والتفصيلَ، و٣. الإزالة: قشّرتُ الفاكهةَ: أزلتُ قشرتَها، و٤. نسبهُ الشيء إلي أصله: كفّرتُ الرجلَ أي نسبته الي الكفرِ.

جاءت صيغه "فعّل" في القمر خمسَ عشرةَ مرهً: "كذّبوا، ٣؛ تولَّ، ٦؛ كذّبت، ٩؛ فجّرنا، ١٢؛ يسّرنا، ١٧ و١٨ و٣٢ و٤٠؛ كذّبت، ١٨؛ كذّبت، ٢٣؛ نبّيهم، ٢٨؛ صبَّحهم، ٣٨؛كذّبوا، ٤٢؛ يولّون، ٤٥.

ومما يلفت النظر بين هذه الأفعال تكرار فعل "كذّب"بصيغة "فعَّل": "كذّبوا وأتّبعوا أهواءهم وكل أمرٍ مُستقرٌ؛كذبّت قَبلَهم قومُ نوحٍ فكذّبوا عبدَنا وقالوا مجنونٌ وازدُجرَ؛كذّبت عادٌ فكيفَ كان عذابي ونُذُر؛كذَّبت ثمودٌ بالنُذُر؛كذَّبت قومُ لوطٍ بالنُّذُر؛كذّبوا بآياتنا فأخذناهم أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ (القمر، ٣، ٩، ١٨، ٢٣، ٣٢، ٤٢). ونري تكرار هذا الفعل في سياق عرضه قصص الأنبياء نوحٍ، وصالحٍ، وهود، ولوط، وفرعونَ بالمقدمة: "وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ" (القمر، ٢) للدلالة علي كثرة كذبهم وعنادهم وكفرانهم إزاء معجزاتِ الأنبياء (عليهم السلام) وهذا التّكذيب والعدوان والكفر سببٌ لعذابهم المهُلك والعَظيم؛ والفعل بهذا الباب "فعّلَ" يفيد خاصية العدالة الإلهية بأنّه رووفٌ ورحيمٌ وغفور يمهل الناس والمجرمين والمنكرين لا يعذبهم إلّا بعد أن أستمرّوا وأكثروا في تكذيبهم وعنادهم وكفرانهم. بعبارة أخري التكذيب في الآية الثالثة يعني أنّ تكذيبهم ليس مقصوراً علي إنشقاق القمر وإنما علي كلّ ما أتي الله علي يدِ رسوله الكريم (الآلوسي، ١٤١٥ه: ج ٣، ص ٦٨).

٢_٧. جميع

قد يؤتي بفعيل بمعني مفعول كجريح وقتيل، فيستوي فيه المذكر والمونث. والفرق بينه وبين المفعول: إنّ صيغة «فعيل» الدالة علي (مفعول) تشبه أختها (فعيل) بمعني (فاعل) في الصفة المشبهه. فصيغة (فعيل) في الصفة المشبهة تدل علي أنّ الوصف ثابت في صاحبه. وعلي سبيل المثال مفردة (الخطيب) تدلّ علي أنّ هذه الصفة كالطبيعة والسجية في صاحبها.

وأمّا (فعيل) بمعني (مفعول) فيدلُّ علي أنّ الوصف قد وقع علي صاحبه بحيث أصبح سجيةً له أو كالسجية، ثابتاً أو كالثابت. فتقول: (هو محمود) و(هو حميد) فـ(حميد) أبلغ من (محمود)؛ لأنّ حميداً يدلّ علي أنّ صفة الحمد له ثابتةٌ.

هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخري إنّ صيغة (مفعول) تحتمل الحال والاستقبال كما تحتمل غيرهما، ومنه: «إعلمي يا أمّاه أنّي مقتولٌ من يومي هذا». وأمّا صيغة فعيل فلا تطلق الّا اذا إتّصف صاحبه به. (السامرائي، ٢٠٠٧م: ٥٢ ــ ٥٤)؛ لذا يمكن الاستنتاج أنّ وزن (فعيل) أبلغ من مفعول وأشدّ؛ فإنّ صيغة (مفعول) تدلّ علي الشدّة والضعف في الوصف بخلاف (فعيل) التي تفيد الشدة والمبالغة في الوصف.

وهنا نذكر مثالاً من صيغة (جميع) علي وزن (فعيل) ودلالتها في السورة. قال تعالي: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾(القمر، ٤٤)؛ فانّ فيه فائدتين: احداهما الكثرة، والأخري الاتفاق: كانّه قال نحن كثير متفقون فلنا الانتصارُ، ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الألفاظ المفردة، فالجمع يدلّ علي الجماعة، وبوزنه علي «فعيل» بمعني «مفعول»؛ أي علي أنّهم جمعوا جميعهم العصبية. وأمّا الفرق بين «فعيل» و«مفعول» فتأتي صيغه «فعيل» بمعني «مفعول» وبين الصيغتين فرق من حيث المعني، وهو أنّ وزن (فعيل) أبلغ؛ فإنّه يقال مثلاً لمن

جُرحَ في أنملته «مجروحٌ»، ولا يقال «جريحٌ» (ابن مخلوف، ٢٠١٥م: ص ١٤٩).

ويزيد الهنداوي في سرّ هذا الاستعمال أنّ لصيغة فعيل ظلالاً وايحاءاتٍ متعدّدةً فهي تأتي للمبالغة، وتأتي صفة مشبهة، وتأتي مصدراً، وغير ذلك. فقد يكون السرّ في اختيارها هو الإفادة مِن ظلال تلك الصيغة المقتدرة المعني، حيث يتسلّل إلي المعني الأصلي في هذا الموضع، وهو دلالتها علي معني اسم المفعول (مجموع) يتسلّل معني المبالغة، كي يتسلّل معني الصفة المشبهة الدالة علي الثبات واللزوم. وأن هذه المعاني تتسلّل إلي الصيغة وإن كانت هي في نفسها ليست صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة، ولكنّها قد جاءت علي وزن شبيه بأوزانهما ومن ثمَّ توحي صيغتها بمعاني تلك الصيغ أيضاً من المبالغة وثبات صفة الاجتماع لهم ،وغير ذلك. ولما كان المعني المقصود في الآية هو صفة الجمع نفسها لا حدث الجمع، لذا اختارت الآية صيغة «فعيل» التي توحي بثبات الصفة وتأصلها أكثر مِن إيحائها بمعني الحدث. (الهنداوي، ٢٠٠٢م: ١٠٦ ـــ ١٠٧)

٢_٨. الأسماء النكرة

مصطلح النكرة يدلّ علي ما دلّت علي شيءٍ لا بعينه (الرضي الاسترآبادي، لا تا: ج ٣، ص ٢٧٩) وما دلّت علي الحقيقة لا باعتبار قيدٍ. (ابن هشام الأنصاري، ١٩٨٥م: ص ٧٣) وما كان دالاً علي حقيقة موجودة وذوات كثيرة. وتحقيق ذلك أنّ الاسم المفرد إذا دلّ علي أشياء كثيرةٍ ودلّ مع ذلك علي الأمر الذي وقع به تشابه تلك الأشياء تشابهاً تاماً حتي يكون ذلك الاسم اسماً لذلك الآمر الذي وقع به التشابه. فاذا قلت: انسانٌ، وقع علي كلّ انسان باعتبار الآدمية. (ابن يعيش، ١٩٩٥م: ج ١، ص ٢٦) وقد اتفق

النحويون علي أنّ الكثرة هي الأصل، وأنّ المعرفة هي الفرع. (الجنابي، لا تا: ص ٤)؛ لأنّ المعرفة تفتقر إلي علامة لفظية أو وضعية، والنكرة لا تحتاج ؤلي علامةٍ وما لا زيادةٍ فيه سابق علي ما فيه زيادة (نفس المصدر، ص ٥)

وللنكرة في التعبير القرآني دلالات متعددة ومعان متنوعة، والأظهر هو أنّ هذه الدلالات لا تستمدّ من اللفظة المجردة نفسِها، بل إنّ للسياق والمقام أثراً واضحاً في إبراز هذه الدلالة أو تلك، فالتنكير يتميز بمزايا تجعله قادراً علي استيعاب الدلالات المتعددة، مثل دلالة التفخيم والتعظيم والنوعية والبعضية والعموم والتخصيص والابهام والتكثير والتقليل والتحقير.

وقد أحصينا النكرات الموجودة في سورة القمر فوجدناها أكثر من خمسةٍ وأربعين كلمةً: آيةً، ٢؛ سحرٌ، ٢؛ حكمةٌ/، ٥؛ شيءٌ، ٦؛ يومٌ عسرٌ، ٨؛ ماءٍ منهمرٍ، ١١؛ عيوناً، ١٢؛ ألواح ودُسُرٍ، ١٣؛ آيةً، ١٥؛ مُدّكر، ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ و٥١؛ قسمةٌ، ٢٨؛ ريحاً، ١٩؛ يومِ نحسٍ، ١٩؛ نخل، ٢٠؛ ضلالٍ وسُعُر، ٢٤؛ كذّابٌ أشِر، ٢٥؛ غداً، ٢٦؛ فتنة، ٢٧؛ كلُّ شربٍ محتضر، ٢٨؛ صيحةً واحدةً، ٣١؛ حاصباً، ٣٤؛ نعمة، ٣٥؛ بكرةً، ٣٨؛ عذابٌ مستقر، ٣٨؛ عزيزٍ مقتدر، ٤٣؛ براءَةً، ٤٣؛ أدهي وأمرّ، ٤٦؛ ضلالٍ وسُعُر، ٤٧؛ كلّ شيءٍ، ٤٩؛ واحدةً، ٥٠؛ كلُّ صغيرٍ وكبير، ٥٣؛ جناتٍ ونهرٍ، ٥٤؛ مقعدِ صدقٍ، ٥٥؛ مليك مقتدرٍ، ٥٥.

والقمر تنفرد بخصوصية توالي الأحداث وتتابعها وسرعتها؛ حيث تتكثّفُ فيها الوقائع وصور العذاب. وفيها تحذيرٌ للكفّار بعنفٍ وشدة، ومساعدة الأنبياء الّذين علي وَشك الهزيمة؛ ومجموعة هذه الوقائع تطلبُ ألفاظاً كي تتصوّرَ هذه المفاهيم؛ وقد استفادت السورة من النكرة بصورةٍ معجزةٍ جميلةٍ جليةٍ. وما ينتج عن دراسة دلالة هذه النكرات هو أنّ النكرات كلّها تفيدُ معني التعظيم والتفخيم والتكثير والعموم الذي يتناسبُ والجوّ الملائم للسورة. وما يلفت النظر في استعمال نكرات السورة هو أنَّ هناك تقابلاً بين النكرات اللائي

اُستُعملت لأهل الحق، وبين ما استخدم لأهل الباطل؛ أي في كلٍّ من أهل الحق وأهل الباطل نكراتٌ تفيد التعظيم والتفخيم عامةً، وفي بعض الأحيان حسب ما يقتضيه المَقام والمُقام تفيد معاني أخري:

أهل الباطل	معني النكرة	أهل الباطل	معني النكرة
سحرٌ مستمرٌ	التقليل والتحقير	آيةٌ	التعظيم و التعميم
شيءٌ نكر	التعظيم والتهويل والتفخيم	حكمةٌ بالغةٌ	التعظيم والتفخيم
جرادٌ منتشرٌ	التكثير والتعظيم	عيوناً	التعظيم والتكثير والتهويل
جزاءٌ	التعظيم	أمرٍ قد قُدِر	التفخيم والتكثير
ريحاً صرصراً	التعظيم والتهويل	ألواحٍ دُسُرٍ	التعظيم والتكثير
يوم نحس مستمرٍ	التهويل	آيةٌ	التعظيم والتفخيم
بشراً	التحقير والتقليل	فهمةً	التعظيم والتكثير
ضلالٍ وسُعُرٍ	التعظيم والتكثير	عزيزٍ مقتدرٍ	التعظيم والتهويل
كذابٌ أشرٌ	التعظيم	جناتٍ ونَهَرٍ	التعظيم والتفخيم والتكثير
فتنةً	التعظيم والتهويل	مليك مقتدرٍ	التعظيم والتفخيم
صيحةً واحدةً	التقليل	عذابٌ مستقرٌ	التعظيم والتهويل
حاصباً	التهويل	واحدة	التقليل

ومما يأتي أدناه بعض النماذج من المفردات التي تبين بوضوح تناسب هذه المفردات التي جاءت نكرة مع سياق آيات السورة، وما تطمح إليها:

٢_٨_١. آيةً

حينما جاء الرسول (ﷺ) بمعجزة انشقاق القمر للكفّار لم يكونوا يقبلوا بها، ورفضوها بمبرّراتهم الباطلة العديدة؛ فردّ الله تعالي فعلهم بـ﴿ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾(القمر، ٢) فنجد أنّ «آيةً» نكرةٌ في سياق الشرط يفيد العموم وهذا في صورة الشرط للدلالة علي أن هذا دَيدَنْ الكفار ودأبهم. (ابن عاشور، لا تا: ج ٢٧، ص ١٦٧)

٢_٨_٢. شيءٍ نكرٍ

للألفاظ النكرة مراتبٌ في شدة غموضها وإبهامها؛ فإنّ بعض النكرات أعمّ وأشيع من بعضٍ، فأعم الأسماء وأبهمها (شيءٌ) وهو يقع علي الموجود والمعدوم جميعاً (ابن جني، ١٩٨٨م: ص ٧٤)؛ لأنه يضمّ الموجود والمعدوم جميعاً. فضلاً عن توغّله في التنكير ودلالته علي القليل والكثير علي ما يبينه السياق أو القرائن. (ابن عاشور، لا تا: ج ٢٧، ص ١١٦٨) ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ (القمر، ٦) و"يوم يدعو الداعي إلي شيءٍ نُكرٍ" يعني لم يروا مثلَه قَطُّ، فينكرونه استعظاماً له. (الطوسي، ١٤١٣هـ: ج ٩، ص ٤٤٥)

وجاء في التحرير: إنه يدعو إلي شيءٍ عظيمٍ؛ لأنّ ما في لفظ شيءٍ من الإبهام يشعر بأنّه مُهولٌ وما في تنكيره يجسم ذلك الهول. (ابن عاشور، لا تا: ج ٢٧، ص ١٧١) وشيءٍ نُكرٍ ما لا تكنّه حقيقته، ولا تعرف فَحواه وهذا يدلُّ علي العظمة والفخامة (الدرويش، ١٩٩٢م: ج ٩، ص ٣٧٥).

٢_٨_٣. عيونًا

إنّ إحدي النكرات التي أدّت دوراً بارزاً بتنكيرها في أفادة الشمول والتعظيم والتعميم ما جاء في آية ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (القمر، ١١ ــ ١٢)، فعدل التعبير القرآني عن القول (فَجَّرْنَا عيونَ الأرض) إلي قوله (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) وبهذا جاءت العيون نكرةً ويكون المعني هو أنه أراد أن يبالغ فكانّه جعل الأرض كلها عيوناً متفجّرة متدفقةً بالماء، وليس فيها جزءٌ إلّا وقد تفجرت فيه المياه. فمفردة «عيون» نكرةً للتعميم والشمول.

٢_٨_٤. حكمةٌ بالغةٌ

وقد جاءت (حكمةٌ) في قوله تعالي ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾(قمر، ٥) جاءت نكرةً، ووصفها (بالغة) نكرةً أيضاً، وفي تنكيرهما ابهامٌ يجعل المتلقي

يتخيل ما لا حدود له، ولا قدر لبلوغه، فهي حكمة بالغة لا يعرف مقدارها إلّا الله. و(بالغة) أي بلغت ما لا يمكن إدراكه والمراد هي إنذار ووعيد. (الصيفي، لا تا: ص ١٥)

٢-٩. إيقاع الفواصل

استعمل الخطاب القرآني أسلوب التفخيم والتهويل، لتحقيق مقاصده في بعض المواقف والمقامات، فتنوعت وسائل الخطاب تنوّعها. فقد عبّر عنها بوسائل لغوية وأخري غير لغوية. فمن اللغوية الوسائل الصرفية والصوتية، كالنكرة والمعرفة، الزيادة، الإفراد والجمع، وإيقاع الفواصل، والوسائل التركيبية كالإضافة، وأسلوب الاستفهام، والتكرار، والحذف، والقسم، والوسائل الدلالية كالالتفات، والإبهام والتفسير (محمّد، ٢٠٢٠م: ص ٤). نحن في هذا القسم من البحث نقوم بتبيين إيقاع الفواصل في سورة القمر ودلالاتها:

٢-٩-١. علاقة المعني بايقاع الفاصلة

الفاصلة هي: آخر كلمة في الآية تتكوّن من «حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعان» (الباقلاني، ١٩٩٧: ٢٧٠) أي تأتي لتحقيق غايات صوتية ذات وظيفة دلالية، وهذا يعني أن الفواصل ليست ألفاظاً تتوافق في الإيقاع الصوتيّ فحسب، بل لها مقاصد وأغراض، ذات علاقة وثيقة بالسياق والمعني والمقام. وذلك كالتفخيم والتهويل في سياق المكذبين بالساعة، في قولة تعالي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ (النازعات، ٤٢ ــ ٤٦) فقد تناسب إيقاع الآيات هذه الفواصل مع حدث المستهزئين المكذّين بموعد الساعة، فسياق الآيات تميز بإيقاع يزيد من روع الساعة وهولها في الحسّ وضخامتها... والهاء الممدودة ذات الإيقاع الضخم الطوسل، تشارك في تشخيص الضخامة وتجسيم التهويل (سيد قطب، ١٤١٢هـ: ج ٢، ص ٣٨١).

فلذا نجد إيقاع الفواصل مرتبطاً بالمعني العام الذي لا ينفك عنه، بل هو وسيلة من وسائل إيضاحه وإرازه ومتمّم له في تأثيره في النفوس؛ لأنّ الإيقاع الموسيقي يدخل في النفس عبر الحسّ السمعيّ فيعمّق الإحساس بالمعني (محمّد، ٢٠٢٠م: ص ١٩).

٢-٩-٢. دلالات إيقاع فواصل سورة القمر

قبل التحليل لا بدَّ من الإشارة إلي أنّ سورة القمر من السور التي تجاوزت المناسبة الصوتية بين الفواصل إلي التزام رويّ واحد هو صوت الراء، ومن المفيد أن نشير بأنّ الراء من الأصوات التي يكثر استعمالها رويا في القرآن الكريم بعد كلّ من النون والميم حيث تصل نسبة استعمال النون ٥١٪، والميم ١٢,٣٨٪، والراء ١١,٠٤٪، وفواصل القرآن «نراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في المويسقي نفسها» (الرافعي، ١٩٧٣م: ص ١٥٣)، والراء تشترك معهما في الإذلاق (مشري، ٢٠١٣م: ص ١٥٢).

أمّا في سورة القمر فخمس وخمسون فاصلة هي:

(القمر، مستمر، مستقر، مزدجر، النُذُر، ذُكر، منتشر، عَسر، ازدُجر، انتصر، منهمر، قُدر، دُسُر، كفر، نُذُر، مدَّكر، نُذُر، مستمر، منقعر، نُذُر، مدَّكر، النُذُر، سُعُر، أشر، الأشر، اصطبر، محتضر، فعقر، نُذُر، المحتظر، مُدَّكر، النُذُر، بسحر، سُكر، النُذُر، نُذُر، مستقر، نُذُر، مدَّكر، النُذُر، مُقتدر، الزُّبُر، منتصر، الدُبُر، أمَرّ، سُعُر، سَقَر، بقَدَر، بالبصر، مدَّكر، الزُبر، مُستطر، نَهَر، مُقتدر). ولأنّ «مبني الوفاصل علي الوقف» (السيوطي، ٢٠٠٠م: ج ٢، ص ١٣٤) فإنّ فواصل هذه السورة تنتهي بالمقطع: ص ح ص المختوم بالراء الساكنة.

وبهذا الاعتبار فإنّ العدول الملحوظ في الشاهد المذكور يفرضة حضور المقطع: ص ح ص في آخر لفظ "الدُبُر" وغيابه في اللفظ المعدول عنه "الأدبار"

الذي ينتهي بالمقطع "ص ح ح ص" وهو ما يفسر العدول عن الجمع إلي المفرد في هذه الآية، ويؤيد هذا المذهب العدول عن "عسير" إلي "عَسر" فاصلة الآية ٨ حيث لا يحقق لفظ "عسير" النهاية ص ح ص، ولفظ "عسير" المتروك هذا مستعمل فاصلة في موضعين في القرآن هما: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾(المدثر، ٩)، و"يومان ﴿ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾(القرقان، ٢٦)، حيث ورد في سورة المدثر ضمن فقرة تتكون من ثلاث آيات فواصلها هي: "الناقور، عسير، يسير" ليشكل معها نسقا صوتيا قوامه النهاية المقطعية ص ح ح ص، أمّا في "الفرقان" فإنّ مجيئه فاصلة للآية ٢٦ حقق الانسجام بين جميع فواصل السورة. أما في سورة القمر فإنّ البديل المختار "عسر" ليس فيه إمكانية المدّ، ومِن ثمَّ لزوم المقطع ص ح ص الذي يقيم الإيقاع (مشري، ٢٠١٣م: ص ١٥٣).

كما رأينا تنتهي فواصل هذه السورة إلي حرف الراء، فإنّ الراء تدلّ علي التنقل، والتكرار والعودة والقلق والسلبية العقلية والجسدية. وهذا الأمر يؤيد تناسب الفواصل وتلاؤمها مع دلالة السور القرآنية. وهناك ظاهرة تدعو الباحث للتأمل في نظم الفواصل وختمها بالحرف الواحد في السورة كلها. وهذا يدلّ علي تمام الانسجام والائتلاف وجمال النظم الذي يجعل السورة بناء منسقاً متماسكاً.

النتائج

لقد حاولنا في هذا المقال أن نتذكر دور الكلمة وصيغتها الصرفية في أداء المعاني التي قصدَها صاحبُ المعجزة الخالدة في إحدي سور القرآن الكريم، وها هي في سورة القمر. بما أن في كل سورة كان يمكن هذه المحاولة، ولكنّنا اخترناها بسبب دراساتنا أخري لنا في هذه السورة.

والإعجاز الصرفي يدرس جماليات الصيغة الصرفية للكلمات القرآنية، وماهية معانيها. والأهم في هذه الدراسة أن نجعل إلي الجو الحاكم في السورة

وأهدافها وموضوعاتها في الحسبان. فسورة القمر لوحة رسمٍ تنازع فيها أهل الحق وأهل الباطل، والله تعالي ساعدَ أهل الحق فيها بأفعال وردود سريعة وقاطعة دحضت أباطيل أهل الباطل.

وهذا الجو يحتاج ألفاظاً خاصّة به تتمكن من إبلاغ المفاهيم.

ورأينا بعد دراسة بعض الألفاظ ــ وليس جميعها ــ ما يلي كشواهد ونماذج:

١. إنّ جُلَّ الأفعال الواردة في سورة القمر من الأفعال المزيدة «الافتعال والتفعيل» والبابان يفيدان الزيادة والتكثيرَ اللذين تنسجمان وتتماسكان وأهداف السورة التي فيها إبراز القدرة والعظمة من باب، والإنكار من باب آخر. كـ«اصطبر»، و«ارتقب»، و«كذَّبوا»، و«فَجّرنا»، و«يسرّنا».

٢. إنّ أغلب الأسماء الواردة في السورة بُنيتْ مِن باب «الافتعال»؛ كـ«مُدّكر»، و«محتضرٌ»، و«منتَشر»، و«مُحتظر». والأسماء لها معانٍ مأخوذة من أفعالها كما ذكرناه في الفقرة الأولي.

٣. هناك أسماء كثيرة في السورة تدلُّ ببنيتها وبناءها علي التعظيم والتفخيم والسرعة كـ«بَطْشَةْ»، و«صيحةً» تناسب معجزة انشقاق القمر والهول الذي يتأتّي جَرّاء ذلك.

٤. الأسماء النكرة الكثيرة في سورة القمر تدلُّ بصورة واضحةٍ علي المعني المرادة في السورة. فاللنكرة بنفسها دلالة علي الابهام والغموض والتعظيم والتفخيم والتكثير، والأسماء النكرة البالغة عددها خمسين تعرضُ هذه المفاهيم والدلالات بشكل جيد.

٥. إنّ أكثر الحروف العاطفة في السوره هي التي تدلّ علي السرعة، والتعقيب بلا إمهال، وأفضل الحروف لإفاده هذا المعني "الفاء" التي قد أدّت دورها بشكل جيد؛ لأنّ المقام مقام التنازع والصراع بين المعتقدات، وهذا يطلب ما يفيد الأسراع وردّ الفعل القاطع البات السريع.

٦. إنّ تناسبَ الفواصل وتلاؤمُ سورة القمر مع دلالاتها مِن إبرز ما يجدهما الباحث في تحليل إيقاع الفواصل في هذه السوره.

٧. نجد في سورة القمر الفواصل وسيلة يستعان بها لفهم المعاني القرآنية، كما أنّ الفواصل تابعة للمعاني كي تؤدّي دورها في التفهيم، وتقريع المبطلين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

أولا – الكتب المطبوعة

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٧٦م)، الخصائص، ط ٤، الهيأة المصرية العامّة للكتاب.

٢. ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر، (د.ت)، تفسير التحرير التنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.

٣. ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بو محمد بن يوسف، (١٩٨٥م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر.

٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (١٩٩٥م)، شرح المفصل، بيروت، مطبعة الكتب عالم.

٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (٢٠١٠م) البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر.

٦. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (١٤١٥ه)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق علي عبد الباري، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧. الدرويش، محي الدين، (١٩٩٢م)، إعراب القرآن وبيانه، ط ٣، حمص، دار الإرشاد للشؤون الجامعية.

٨. الرافعي، مصطفي صادق، (١٩٧٣م)، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، ط ٧، بيروت، دار الكتب العربي.

٩. الرضي الأستر آبادبي، محمد بن الحسن، (د.ت)، شرح الرضي علي الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، ط ٢، موسسة الصادق للطباعة.

١٠. السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٧م)، معاني الأبنية في صيغ الألفاظ، ط ١، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية.

١١. السيوطي، جلال الدين، (٢٠٠٠م)، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
١٢. سيد قطب، إبراهيم حسين، (١٤١٢ه)، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
١٣. الطبرسي، فضل بن حسن، (١٣٧٢هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، انتشارات ناصر خسرو.
١٤. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٩٨٠م)، ترتيب كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرايي، دار الرشيد للنشر.
١٥. قباوة، فخر الدين، (١٩٩٨م)، تصريف الأسماء والأفعال، بيروت، مكتبة المعارف.
١٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر، (٢٠٠٦م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء العشرون، بيروت، موسسة دار الرسالة.
١٧. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، (١٤٢١ه)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٨. الهنداوي، عبد الحميد أحمد يوسف، (٢٠٠٢م)، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ثانيا – الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. أونان، حميدة؛ ووسيلة لعبيدي، (٢٠١٨م)، التحويل الصرفي في القرآن الكريم، دراسة دلالية تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في اللغة العربية، جامعة بوفهامة، كلية اللغات والآداب.
٢. الصيفي، عزيز عبد الفتاح، (د.ت)، الإعجاز البلاغي في سورة القمر، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
٣. حرّاد، رياض، (٢٠١٣م)، الجملة في اللغة العربية؛ البنية والوظيفة، دراسة في سورة القمر، جامعه سطيف، كلية الآداب واللغة.
٤. الفريدة، مولي منحة، (٢٠١٤م)، المشترك اللفظي في سورة القمر، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ملانج.
٥. مشري، عبد الناصر، (٢٠١٣م)، دلالة العدول الصرفي في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات.
٦. هوّاش، عباس أحمد، (١٩٩٩م)، زيادة اللفظ لزيادة المعني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعه الأميركيه في بيروت، كلية الآداب والعلوم.

ثالثا – البحوث في المجلات

١. العبيدي، محمد خال رخال، (٢٠١١م)، «اسم الجمع في العربية»، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد ٢٨.
٢. الجنابي، أسيل متعب، (د.ت)، «النكرة في القرآن الكريم»، دراسة دلالية، جامعة واسط، كلية الآداب.
٣. محمّد، أمل عثمان العطاء، (٢٠٢٠م)، «وسائل التفخيم والتهويل في الخطاب القرآني»، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، الجزء الثالث، ص ٢٠٣٩ – ٢٣٧٩.